

ثقافة

الياس خوري

الايقاع الشعبي
داخل اللحم

يتكء اللحم على اللحم ، فينفجر الواقع منبسطا
ومأسويا . يمتد شاسعا في الارض ، يحفر فيها
قنوات ماء ولا ينكسر الماء بحد السيف . فالماء حين
يجري ، يحيط الارض ، يتراجع ولا يجف ، لانه
ينبع منها ويتراجع اليها . من اللحم ينهمر الواقع
كحلم لكنه يبقى في أصلاته رديف مستقبل بركاني
القسيمات . وإذا كانت البساطة الشعبية تغلب ،
أو توجي بذلك ، فان الغبي هو السيف الذي
ستكسره ملايين حبات الرمال ، حين تكتشف
اشجارها التي نبتت على ضفاف آلاف القنوات التي
حفرتها الارادة وقد لبست شعبا بأكمله . في رواية
أميل حبيبي الثانية ، هذا الانق وقد اهتل بالدماء
وأصبح بلون خبرة الذاكرة .

تخرج الالاف وقد حملت ليلا لتعود به . فالذين
شردوا ليل ١٩٤٨ يعودون أو يحاولون العودة ،
ليكتشفوا اربابا متقرضا يجلدوم . وهم يستطيلون .
تفرغ المدن والقرى ، وتكبر السواهد . فالمتشائل
البسيط حين يعود وعلى رأسه « كيس خيش » ،
يظهره الكيس ويسحقه ذله مرة ثانية . فيلجأ الى
النكتة السوداء ، ويختبئ خلف ذاكرته المغفودة ،
لكنها تعود مع ابنه ومع ابن حبيته على شكل
فدائي يفجر وينفجر . فتتحنى الرواية : تتنقوس
وتتمهل . تنثر في الفضاء ترابا بركانيا اسود اللون ،

* أميل حبيبي : **الوقائع الغربية في اختفاء سعيد
أبي النحس المتشائل - ثلاثة - في الجديد**
شباط ٧٢ وكانون الاول ٧٢ ونيسان - أيار
١٩٧٤ . ويكن مراجعة الكتاب الثالث في شؤون
فلسطينية - ٣٨ - .

مسائل الحياة اليومية : تتمحور الرواية حول
شخصية شعبية مركزية ، وتلتقط همومها في ثلاث
دوائر متتالية . الاساسي هنا هو أن هذه الشخصية
تجمل معنى مثل الدلالات : فهي تجريد للشعب ،
كما تحمل هموم ومعاناة المتعاون مع الاحتلال تحايلا ،
وتحمل أخيرا صوت المؤلف الذي يكشف الغطاء
عن عناصر تعددها . تبدأ ببطل الرواية يقدم
نفسه : « أوصى الي سعيد أبو النحس المتشائل
قال : بلغ غني أعجب ما وقع لأنسان منذ عصا
موسى وقيامه عيسى وانتخاب زوج اللبدي بيرد
رئيسا على الولايات المتحدة الاميركية » . يقسم
الكتاب الاول **يعاد** الى عشرين مقطعا تبدأ بـ « سعيد
يدعي التقاء مخلوقات من الفضاء السحيق » لتنتهي
بـ « الجرح المفتوح » . وبين هذين الحدين بروي
لنا المتشائل حكايته منذ ولادة دولة « اسرائيل » .
يتعلق الكتاب الاول حول مسألة أساسية : تقديم